مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(فيليبي ٤: ٤–٩)

يا إخوةُ افرحوا في الربِّ كُلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا* وليظهَرْ حِلمُكُم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكن طلباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* وليحفظْ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبَكم وبصائرَكم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيُّها الإخوةُ مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكن من عفافٍ ومهما يكن من عدلٍ ومهما يكن من طهارةٍ ومهما يكن من صِفةٍ مُحبَّبةٍ ومهما يكن من حُسنِ صيتٍ إن تكن فضيلةٌ وإن يكن مَدحٌ ففي هذه افتكروا* وما تعلَّمتموهُ وتسلَّمتُموه وسمعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعمَلوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

الإنجيل

(يوحنا ١٢:١–١٨)

قبل الفصح بستة أيامٍ أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا

ها هوذا الختن

في صبيحة أحد الشعانين، يدخل الرب يسوع أورشليم «ملكًا عادلاً ومنصورًا وديعًا» (زكريا ٩:٩)، وفي عشية اليوم نفسه تدعو الكنيسة أبناءها المؤمنين إلى الانتقال «كمن عيد إلهي إلى عيد إلهي، من سعف وأغصان إلى تكملة آلام المسيح الموقّرة الخلاصية» (أبوستيخن صلاة المساء). هذا الانتقال بالغ الأهمية لاقتبال الأحداث الخلاصية الكبرى الآتية، لأن الملك الداخل إلى أورشليم على وقع الهتافات وتأييد الحشود لم يدخل بالمركبات والخيول بل على جحش ابن أتان، رمز الضعة والوداعة، حاسمًا عن مُلكه المجيد أية صفات أرضية أو زمنية. مجد المسيح سوف يتجلى بكل بهائه على الصليب (يو ٣١:١٣) ومملكته تتحقق في قلوب مؤمنيه لا في سياساتهم واهتمامات دنياهم. «يا بُني أعطني قلبك» يقول السيد الرب (أمثال ٢٦:٢٣).

نقل المؤمنين من مجد المظاهر الأرضية إلى كُنه الفداء الإلهي يتم ليتورجيًا عبر صلاة الختن (أو العريس) وهي صلاة السحر لأيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء العظيم. في مجتمع إسرائيل القديم كان العريس فادي عروسه وعشيرتها، يبذل عنها ذاته ولا يطلب منها إلا عهد الوفاء. ثمة من يرى في أيقونة الختن المسيحَ أتيًا طالبًا ودَّنا، متوسلاً فداءنا، وفي عظمة هذا التنازل مدعاة التأمل. عمق هذه الصورة يتظهّر في الأيام الثلاثة قبل الآلام في صلاة الختن.

في اليوم الأول تظهر شخصية من العهد القديم لها قصة مؤثرة. يوسف العفيف ابن يعقوب الذي يحكي عنه سفر التكوين (٣٧–٥٠)، الذي انقلب عليه أخوته حسدًا وحاولوا قتله وباعوه إلى المصريين، ولكن الله عاد فمجّده ورفعه إلى أعلى المراتب. ثم دارت الأيام وأصبح يوسف مخلصًا لإخوته وأهل بيته، وما حفظ عليهم ضغينة. المسيح ربنا «إلى خاصَّتِهِ جاءَ وخاصَّتُهُ لم تقبَلْهُ» (يو ١١:١) والأقربون خانوه وأسلموه إلى الوثنيين (مر ٣٣:١٠). المسيح ربنا ما حمل للذين خانوه ضغينة بل افتدى من على الصليب الخليقة بأسرها. يوسف هو إذًا صورة للمسيح، وقصته في صلاة الختن الأولى هي لتشديد المؤمن المجاهد بوعد الغلبة الآتية بالمسيح من عند الله.

العدد ٢٠٠٥/١٧

الأحد ٢٤ نيسان

أحد الشعانين

تذكار البارة اليصابات الصانعة العجائب

حيث كان لعازرُ الذي ماتَ فأقامهُ يسوعُ من بين الأموات* فصنعوا له هناك عشاءً وكانت مرتا تخدِمُ وكان لعازرُ أحَدَ المتَّكئين معه*أمَّا مريمُ فأخذت رطلَ طيبٍ من ناردين خالص كثيرِ الثمن ودهنتْ قدمَيْ يسوع ومَسَحَتْ قدميهِ بشعرها* فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيب* فقال أحدُ تلاميذِهِ يهوذا بنُ سمعان الإسخريوطي الذي كان مزمعاً أن يُسلِمهُ لِمَ لم يُبع هذا الطيبُ بثلاثِ مئةِ دينار ويُعطَ للمساكين*وإنَّما قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين بل لأنَّه كان سارقاً وكان الصندوقُ عنده وكان يحملُ ما يُلقى فيه* فقال يسوعُ دَعْها إنَّما حَفِظَتْهُ ليومِ دفني* فإنَّ المساكينَ هم عندكم في كلّ حين وأمَّا أنا فلستُ عندكم في كلّ حين* وعلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنَّ يسوعَ هناك فجاءوا لا من أجلِ يسوع فقط بل لينظروا أيضاً لَعازر الذي أقامه من بين الأموات* فأْتَمَرَ رؤساءُ الكهنة أن يقتلوا لَعازرَ أيضاً* لأنَّ كثيرين من اليهود كانوا بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد لمَّا سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاءوا إلى العيد بأنَّ يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا

ثمة وجه آخر في قصة يوسف يستدعي التوقف، هو إيثاره العفة والأمانة نفسًا وجسدًا، حينما حاولت زوجة فرعون إغواءه (تك ٣٩:٧–١٣). العفة هنا هي مفتاح للمؤمن إلى فرح ربه ويوسف، بتغلبه على غواية المصرية، استرد طهارة ما قبل السقوط، والدليل أنه ما خجل من عريه على عكس آدم وحواء (تك ٣:١٠).

في اليوم الأول أيضًا تحضر قصة التينة الملعونة التي أيبسها الرب يسوع «إلى الأبد» حين التمس منها الثمار وما وجد فيها إلاّ الورق (متى ٢١:١٨–١٩). هذه التينة ترمز إلى الإنسان الذي لا يحمل من الصلاح إلا المظاهر، كالتينة الغضة بورقها، وروحه عاقر لا تؤتي ثمرًا. ما نفع الجهادات الروحية والأصوام والصلوات والاشتراك في المواسم الكنسية إن كانت سوف تبقى بلا ثمر؟ هنا أيضًا تأكيد على أن الرب، وفي الوقت الذي يراه، يأتي ليطلب الثمار ومَنْ كان في تلك اللحظة عقيمًا سوف ييبس «إلى الأبد».

محور اليوم الثاني اليقظة والجهوزية الروحيّتان، اللتان يستدعيهما مجيء الديان. كنيستنا المقدسة تتذكر كثيرًا في هذا اليوم مَثَلَ العذارى العشر (متى ٢٥:١–١٣). في هذا المثل الملكوتي المبارك يمكن للمؤمن أن يتبين بوضوح مدى استعداده للدخول كيانيًا في سر موت المسيح الإله وقيامته. نحن نعيش في هذا اليوم مَثَل العذارى لنحاسب أنفسنا قبل أن يفوتنا موعد العرس. مَنْ كان سالكًا في التقوى والمحبة والرحمة ويعيش هكذا في كل وقت، هذا يكون مستعدًا كالعذارى العاقلات ومصباح نفسه يضيئه زيت الفضائل. أما من هو على عكس هذه الصورة، فهو كالجاهلات اللواتي قرّرن ملء مصابيحهن في آخر لحظة، وما عاد الوقت كافيًا. «الحق أقول لكنّ إني ما أعرفكنّ»، يقول العريس للعذارى الجاهلات. هل هي ردة فعل للتشفي؟ قطعًا لا، فالذي افتدى الخليقة العاصية بدمائه حبًا لا أثر فيه للحقد، من كان عائشًا بحسب نواميس الرحمة والمحبة، أي من كانت هذه النواميس في صلب تكوينه، يكون عائشًا في الله، أي تكون بينه وبين فاديه صِلات ودّ وقربى. هذا يعرفه الرب لأن فيه من شَبَهِهِ. كيف يمكن للإنسان أن يطلب شيئًا لا يعرفه؟ من يطلب الرحمة من السيد في ساعة الدينونة وما كان أليف الرحمة يومًا، هو غريب عن الله بالتأكيد، لا مكان له إلى جانب الختن ولا نصيب له في فدائه. نحن نعوّل على رحمة الله، المعطاة مجانًا من فيض صلاحه، ولكننا في وقت الحساب نُسأل عما اختزناه من رحمة ومحبة على هذه الأرض.

في صلاة الختن الثالثة نستعيد تذكار الزانية التي أتت إلى السيد تفيض على قدميه الطيب النفيس والدموع (لو ٧:٣٧). ثمة مقارنة بالغة الأهمية هنا بين مشهدين: زانية تأتي إلى السيد بتوبة متفجرة ساكبةً على قدميه بلا حساب عطرًا جزيل الثمن، وتلميذ من الأقربين يمتعض مما اعتبره تبذيرًا، وهو الذي سوف يسلم السيد غدرًا لقاء حفنة من المال (يو ١٢:٥). خاطئة تصبح بالتوبة من أخصّاء الرب، وتلميذ من أهل البيت يقبض عليه الشيطان من باب الجشع والتمرّد. اليوم، ونحن على بعد ساعات من دخول الرب مخاض آلامه وتحقق انتصار الرب استجابة لصرخات دماء المظلومين، المؤمن مدعو إلى اتخاذ موقف حاسم لا لبس فيه. الرب يسوع قَبِلَ توبة المرأة طيبًا يضمّخ جراحاته عندما قال «فعلت ذلك لأجل تكفيني» (متى ٢٦:١٢)، أما غدر يهوذا فهو في جسد

للقائهِ وهم يصرخون قائلين: هوشعنا مباركٌ الآتي باسم الربِّ ملكُ إسرائيل* وإنَّ يسوعَ وجد جحشاً فركِبهُ كما هو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنةَ صهيون. ها إنَّ مَلِكَكِ يأتيكِ راكباً على جحش ابنِ أتانٍ* وهذه الأشياءُ لم يفهمها تلاميذُهُ أوّلاً ولكن لمَّا مُجّد يسوعُ حينئذٍ تذكَّروا أنَّ هذه إنَّما كُتبتْ عنهُ وأنَّهم عمِلوها له* وكان الجمعُ الذين كانوا معه حين نادى لَعازر من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون لهُ* ومن أجل هذا استقبلهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّهُ قد صنعَ هذه الآية.

تأمل

ليكن فرحُكِ عارمًا يا ابنة صهيون! اشكري وتهلّلي يا كنيسة المسيح بأجمعها، لأن الملك يأتي إليكِ من جديد، عريسك يأتيكِ جالسًا على جحش كما على عرش. لنخرجْ لاستقباله، لنسرعْ ونرَ مجدَه، لنلحق به ونكرّم دخولَه فرحين. مرة أخرى يأتي الخلاص للعالم، يأتي الله ليُصلب. مرة أخرى يفتقدنا النورُ وتنحلّ اللعنة. تزهر الحقيقة، ترقص الكنيسة فيترمّل مجمع اليهود. الشياطين تخجل من جديد. اللعنة تتبدّد والشيطان ينسحق.

الرب جرح الخليقة العاصية التي استمرت بالرغم من ذبيحة الصليب تتمرّد. الكنيسة تسأل ابنها الآن موقفًا: إن أردت أن تقبل السيد ختنًا، فأنت ملزم بوفاء العروس لعريسها. النفس الطاهرة تبقى أمينة لعريسها ولا تزني مع آخرين.

الصلاة الربانية

+ **خبزنا الجوهري أعطنا اليوم:** إن دراسة طبيعة الطلبات الواردة في الصلاة الربانية دل على الطابع الأخروي، أي المتعلق بالآخرة والملكوت، الذي تحمله هذه الطلبات. فالمؤمن يريد أن يحقق الآن، هنا على الأرض، ما هو محقق في الملكوت السماوي، قداسة اسم الرب ومجيء ملكوته وطلب مشيئته وغفران الخطايا في المحاكمة والنجاة من التجارب، التجارب الأرضية حيث سيحاول الشيطان أن يبعدنا عن الملكوت. لذلك من المنطقي القول أن طلبة «خبزنا الجوهري أعطنا اليوم» لا تخرج عن هذا السياق. فهي ذات طابع أخروي إذ فيها نطلب أن نحصل على الخبز الأساسي، الخبز الأخير الذي سوف نأكله على مائدة الملكوت، أن نحصل عليه اليوم. وما الخبز الذي نأكله كل يوم إلا صورة لهذا الخبز الأخير ولخيرات الملكوت الذي افتتحه المسيح عندما تجسد وصُلب.

كلمة «الجوهري» (epiousios حسب الأصل اليوناني) تعبّر عن ماهية الخبز الذي نطلبه في الصلاة الربانية. لذا يجب فهم هذه الكلمة. لا بدّ من الإشارة أولاً إلى أن هذه الكلمة لا ترد في كل الكتاب المقدس إلا في نص الصلاة الربانية، وهذا ما لا يسمح بإقامة المقاربات الكتابية والمقارنة مع نصوص غيرها لفهم المعنى. الآباء القديسون أعطوها عدة معانٍ. القديس غريغوريوس النيصصي رأى مع المغبوط أوغسطينوس أنها تحمل معنى «خبزنا اليومي» أي الخبز الضروري للحياة بحسب القديس كيرلس الاسكندري، والقديس مكسيموس المعترف رأى فيها الخبز الروحي المحيي، والقديس ايرونيموس قال إنها تعني الخبز الذي للغد وذلك استنادًا إلى الترجمة الآرامية لكلمة «الجوهري». إذًا يمكننا القول أن معنى عبارة «خبزنا الجوهري» تراوح بين الخبز الضروري للحياة أي اليومي، وخبز المستقبل وخبز الغد وخبزنا «الفائق الجوهر».

الكنيسة الأرثوذكسية تبنّت ومنذ العصور الأولى كلمة الجوهري في ترجمتها وتفسيرها الأخروي للصلاة الربانية. فنحن أبناء الملكوت ونطلب ما هو للملكوت. الخبز الحقيقي الذي نسعى إليه هو الخبز السماوي، ومتى سعينا وراء هذا الخبز السماوي نُعطى من لدن الله الخبز الأرضي الضروري لحياتنا. الرب يسوع علّم تلاميذه أن لا يهتموا بأمور الأرض «قائلين ماذا نأكلُ أو ماذا نشربُ أو ماذا نلبَس، فإن هذه كلَّها تطلُبُها الأمَمُ. لأنَّ أباكُمْ السماوي يعلَمُ أنَّكم تحتاجونَ إلى هذه كلِّها. لكنِ اطلُبوا أولاً ملكوتَ الله وبِرَّهُ وهذه كلُّها تُزادُ لكُمْ» (متى ٦: ٣١-٣٣). إذًا تبنّي معنى الخبز الجوهري أو الخبز الأخروي لا تنفي طلب الخبز اليومي الضروري للحياة، فهذا الخبز الآني يشمله طلبنا أن نعيش في حياة الملكوت وخيرات الملكوت.

في إنجيل يوحنا يسأل الشعبُ يسوع أن يصنع آية ليؤمنوا به: «ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المنَّ في البريةِ كما هو مكتوبٌ أنَّهُ أعطاهُمْ خبزًا منَ السماءِ ليأكلوا. فقالَ لهم يسوعُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكمْ ليسَ موسى أعطاكُمُ

الأمم تفرح وصهيون تتزيّن. يأتي المسيح جالسًا على جحش كما على عرش. تهلّلي أيتها السموات، يا ملائكة سبّحوا. يا جبالُ ابتهجي ويا تلال ارتكضي ويا أنهار ثوري. ارقص يا شعب صهيون وافرحي أيتها الكنائس. وأنتم يا كهنة رتّلوا ويا أنبياء هلمّوا في المقدمة. يا تلاميذ بشّروا ويا شعوب استقبلوا وأنتم أيها الشيوخ تسارعوا معهم أيضًا. ارقصي أيتها الأمهات وانشدوا أيها الرضّع. اصرخوا أيها الشباب ويا أيتها القبائل تجمّعي. كل جبلة، كل وجود، كل مصفّ، كل نسمة، الأرض كلها، الأعمار كلها، الملوك كلهم ليستقبلوا ببهاء ملوكي مَلِكَ الملوك. وببهجة لنسجد لسيد الأسياد وننشد إلهيًا أناشيد لإله الآلهة ولنرقص رقصات الزفاف الإلهية للعريس الأزلي. لنُشعل مصابيحنا بابتهاج ونبدّل لباس نفوسنا كما يليق بالله. لنهيّء طرق حياتنا جميلةً، ولنُمسك بسَعَف الظفر من أجل الظافر على الموت، ولنهزّ أغصان الزيتون للغصن الآتي من مريم. لنرتّل ملائكيًا لإله الملائكة. وكما يليق بالله، فلنصرخ مع الأطفال: «أوصنا في الأعالي! مبارك الآتي باسم الرب!».

القديس أبيفانيوس القبرصي

الخبزَ منَ السماءِ بل أبي يعطيكُمُ الخبزَ الحقيقيَّ منَ السماءِ. لأنَّ خبزَ اللهِ هو النازلُ منَ السماءِ الواهبُ حياةً للعالم. فقالوا لهُ يا سيّدُ أعطِنا في كلِّ حينٍ هذا الخبزَ. فقالَ لهمْ يسوعُ أنا هوَ خبزُ الحياةِ من يُقْبِلْ إليَّ فلا يجوعُ ومن يؤمنْ بي فلا يعطشُ أبدًا ... هذا هو الخبزُ النازلُ منَ السماءِ لكي يأكُلَ منهُ الإنسانُ ولا يموتَ. أنا هو الخبزُ الحيُّ الذي نزلَ من السماءِ. إن أكلَ أحدٌ من هذا الخبزِ يحيا إلى الأبدِ. والخبزُ الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذُلُهُ من أجلِ حياةِ العالمِ. فخاصمَ اليهودُ بعضُهُمْ بعضًا قائلينَ كيف يقدرُ هذا أن يعطيَنا جسَدَهُ لنأكلَ. فقالَ لهم يسوعُ الحقَّ الحقَّ أقولُ لكم إنْ لم تأكلوا جسدَ ابنِ الإنسانِ وتشربوا دمَهُ فليسَ لكم حياةٌ فيكم. منِ يأكلُ جسدي ويشربُ دمي فلَهُ حياةٌ أبديَّةٌ وأنا أقيمُهُ في اليومِ الأخيرِ ... من يأكلْ جسدي ويشربْ دمي يَثبُتْ فيَّ وأنا فيه» (٦:٣٠–٣٥؛ ٥٠–٥٦). هذا الكلام إفخارستي بامتياز، إذ إننا في كل قداس إلهي نشترك بمائدة الملكوت ونحيا التدبير الإلهي من جديد وكأنه حاصل الآن، ونغتذي من جسد الرب ودمه، من غذاءٍ مائدة الملكوت حيث الرب هو الموزع والموزَع، وهو رب المائدة والحمل في آن. وبما أن طعام الملكوت هو جسد المسيح نفسه، والخبز الجوهري الذي نطلبه في الصلاة الربانية هو الخبز السماوي الملكوتي، فإن الكنيسة وضعت الصلاة الربانية قبل المناولة المقدسة مباشرة في القداس الإلهي لأن سعينا الأساسي هو وراء جسد يسوع الذي إن أكلنا منه نحصل على القيامة والحياة الأبدية ونكون أبناء الملكوت.

ما يجب عدم الاستخفاف به هو أن الرب يسوع وقبل أن يعلّمهم في إنجيل يوحنا هذا التعليم السامي عن الخبز الحقيقي، جسده هو، قام بعجيبة إكثار الخبز وإطعام الخمسة آلاف خبزًا وسمكًا من خمسة أرغفة وسمكتين، ورفع اثنتي عشرة قفّة من الكسر (يو ٦:١–١٣). الرب يسوع قبل أن يوصلهم إلى الروحيات أعطاهم الجسديات. أطعمهم فقالوا «هذا هو بالحقيقةِ النبيُّ الآتي إلى العالم» (يو ٦:١٤)، ومن بعدها قال لهم: «اعمَلوا لا للطعامِ البائِدِ بل للطعامِ الباقي للحياةِ الأبديةِ الذي يعطيكُمُ ابنُ الإنسان، لأنَّ هذا الله الآبُ قد خَتَمَهُ» (يو ٦:٢٧). إذًا، عندما نصلّي «خبزنا الجوهري أعطنا اليوم»، فإن عيوننا تشخص نحو الخبز الحقيقي الآتي من السماء، ولكن برحمة الله نُعطى الخبز الأرضي الضروري لحياتنا اليومية لكي نتقوى ونتشدد ولكي نستطيع أن نحيا الملكوت في حياتنا اليومية. وهكذا فإن الخبز الذي نأكله ما هو إلا تذوّق مسبق لخيرات الرب التي سوف نغرف منها في ملكوته.

نطلب منه أن نحصل عليها اليوم لأن الإنسان المسيحي يحيا يومًا فيومًا وفي كل يوم يستعد لمجيء الملكوت. «فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتمُّ بما لنفسِهِ. يكفي اليومَ شرُّهُ» (متى ٦:٣٤). القديس يوحنا الذهبي الفم يشرح عبارة «أعطنا اليوم» فيقول: «ذلك لكي لا ننهك أنفسنا باقتحام اليوم التالي. لأنك إن كنت لا تعرف إن كنت سترى ذلك اليوم الفاصل، فهل تخضع لاهتماماته؟ إنه يريدنا أن نكون من كل ناحية غير مُثقَلين، بل مجنَّحين للفرار، متنازلين للطبيب بمقدار ما يفرضه علينا تمام لزوم الضرورة».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb